المحاضرة الحادية عشر

الحضارة العربية الإسلامية: نشأتها – الأدب والفلسفة والفنون.

تمهيد

أولا- ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية:

عندما عم الفساد وانحرف الناس عن عبادة الله إلى عبادة الأوثان والأصنام، أرسل الله سبحانه وتعالى رسله لهداية الناس والعودة لعبادته ، وإقامة العلاقات الحسنة بين الناس ومن هنا كانت رسالة الإسلام التي حمل لواءها سيدنا محمد (ﷺ)

1- مولد الرسول (ﷺ) ونشأته:

ولد محمد ﷺ في مكة المكرمة في 12 ربيع الأول الموافق20/ إبريل 571م وهو العام المعروف عند العرب بعام الفيل. وكان والده قد توفي قبل ولادته فأُرسلته أمه أمنة بنت وهب إلى البادية لتعلم الفصاحة في اللغة والصبر والشجاعة ، وبعد وفاة والدته وهو في سن السادسة كفله جده عبد المطلب برعاية ومحبة ، وبعد وفاة جده، كفله عمه أبو طالب وكان في الثامنة من عمره واصطحبه معه في رحلة تجارية إلى بلاد الشام.

عمل سيدنا محمد(ﷺ) بالرعي ثم بالتجارة وذهب إلى بلاد اليمن والشام، وأرسلته السيدة خديجة بنت خويلد وكانت من أغنياء قريش في تجارة لها إلى بلاد الشام، فحقق لها أرباحًا مضاعفة، وقد أعجبت السيدة خديجة بصفات النبي (ﷺ) وبأمانته فعرضت عليه الزواج في وقت رفضت فيه من هو أكثر منه مكانة وثروة.

2- **البعثة**

كان الرسول (ﷺ) على خلق قويم إذ اشتهر بالأمانة، والمروءة، والوفاء بالعهد، والحلم، والتواضع، والكرم، والشجاعة، والصدق، وكان يكره عبادة الأوثان ، ولا يشرب الخمر ولا يحضر مجالس اللهو، ولذلك فضل العزلة، فكان يذهب إلى غار حراء ليتعبد ويمكث فيه ليالي متتالية ومعه زاده، ويتأمل في نظام هذا الكون ، ويفكر في البعث والحساب ،وظل كذلك حتى بلغ الأربعين من عمره ونزل عليه الوحي في يوم الاثنين 17 رمضان (610م) ومن هذا التاريخ بدأت انطلاقة الدعوة الإسلامية ، وكان أول من آمن بهذه الدعوة السيدة خديجة ، ثم أخذت الدعوة بالانتشار سرًا لمدة ثلاث سنوات في مكة، لتتجنب أذى قريش وهي في بدايتها، ثم أمر الله نبيه

(ﷺ) بإظهار دينه: "فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين"[1] فخرج الرسول (ﷺ) وصعد على جبل الصفا و نادى رجالات قريش ، وعرض عليهم الدعوة الإسلامية وقال لهم " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"

3- موقف قريش من الدعوة الإسلامية

وقفت قريشً من الدعوة الإسلامية موقفًا سلبيًا عدائياً، ولم تُقبل عليها ، واتبعت أساليب وطرق متنوعة لمقاومة الرسول (ﷺ) ودعوته في مكة. **وتفننت في تعذيب** المسلمين ومنهم آل ياسر، فكانوا يخرجون عمار وأباه وأمه إلى الأبطح، وهو مكان قريب من مكة في الحر الشديد ويعذبونهم ، فمر الرسول (ﷺ) فقال" صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة" فمات ياسر من العذاب وأغلظت امرأته سمية القول لأبي جهل فطعنها وكانت أول شهيدة في الإسلام...

4- الهجرة إلى الحبشة

بعد أن اشتد أذى قريش للمسلمين سمح الرسول(ﷺ) لمن أراد الهجرة أن يهاجر إلى الحبشة، وكان اختياره لها لأن أهلها أهل كتاب يعتنقون المسيحية, وأن حاكمها حاكم عادل لا يظلم عنده أحد، فضلاً عن رغبة الرسول (ﷺ) في كسب التأييد لدعوته من شعب مؤمن بالمسيحية، واجتذاب أفواج جديدة من خارج شبه الجزيرة العربية إلى الإسلام، حاولت قريش أن تستعيد من هاجر من المسلمين إلى الحبشة، فبعثت وفداً حاول الإيقاع بين المسلمين المهاجرين ونصارى الحبشة ففشلوا وردهم ملك الحبشة خائبين.

5- المقاطعة

ظلت قريش على عدائها للرسول (ﷺ) وأصحابه خاصة بعد إسلام كل من حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب وشعورهم بتعاظم قوة المسلمين فحاولوا الضغط على بني هاشم وبني عبد المطلب باتفاق زعماء قريش على كتابة عهد بينهم بمقاطعة المسلمين وعزلهم فلا بيع ولا شراء ولا مصاهرة . وعلقوا صحيفة المقاطعة داخل الكعبة وظلوا على ذلك ثلاث سنوات مما أدى إلى موت نفر منهم ، الأمر الذي جعل عقلاء قريش يتجهون إلى نقض الصحيفة.

6- الهجرة إلى يثرب

---

[1] **سور الحجر الآية رقم (94)**

بعد وقوف قريش في وجه الدعوة الإسلامية ، توجه الرسول (ﷺ) بدعوته للوفود العربية التي تصل مكة للحج، وما إن علم الرسول (ﷺ) أن وفدا من الخزرج من أهل يثرب قادم إلى مكة للحج، خرج يلقاه عند العقبة بعيدا عن عيون قريش حتى لا تصدهم عنه وتحدث إليهم ودعاهم إلى توحيد الله، وتلا عليهم من آيات الله البينات، فانشرحت قلوب الوافدين لدعوة التوحيد فاستجابوا له وآمنوا به، وفي العام التالي وهو العام الحادي عشر للدعوة، جاءه وفد من (اثني عشر رجلاً) من الأوس والخزرج التقى بهم الرسول (ﷺ) في المكان نفسه ، وأسفر ذلك عن بيعة العقبة الأولى، ثم حضر في العام الذي يليه وفد أكبر (ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان) وبايعوه فيما عرف ببيعة العقبة الثانية وتعهدوا أن ينصروه ويحموه ، ودعوه إلى مدينتهم، لذا ما إن تعاظم أذى قريش للمسلمين حتى أمر الرسول(ﷺ) المسلمين بالهجرة إلى يثرب.

ثانيا- انتشار الإسلام و قيام دولة الإسلام في شبه الجزيرة العربية:

في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول (24 أيلول- سبتمبر 622م) من السنة الثالثة عشرة للبعثة، دخل الرسول (ﷺ) إلى يثرب، لتكون أول عاصمة لدولة الإسلام ،ومنطلقا لجيوش المسلمين الفاتحة، وُعرفت يثرب بعد ذلك بمدينة رسول الله ثم بالمدينة المنورة ، وتعتبر سنة الهجرة بداية لتاريخ الدولة الإسلامية .

1- الأسس التي أقام عليها الرسول دولة الإسلام في المدينة

أ- بدأ الرسول (ﷺ) عمله السياسي في المدينة بتوحيد الصف ووضع أسس المجتمع الإسلامي، فأصلح بين الأوس والخزرج ودعاهم الأنصار ، وآخى بينهم وبين المهاجرين.

ب- قام ببناء مسجده، ليكون مقرًا للرئاسة وتأدية الصلاة، ونشر تعاليم الإسلام وشريعته، ومركزاً للقضاء وإعداد الجيوش ، والتشاور في أمور دينهم ودنياهم.

ج- تعاهد مع يهود المدينة (بنو قريظة، وبنو النضير وبنو قينقاع) فأمنهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم عدم التعاون مع أعداء الإسلام .

د- أصدر (ﷺ) " الصحيفة " التي اعتبرت دستورًا للدولة الإسلامية، وشملت الأسس والقوانين التي تنظم العلاقات الاجتماعية والسياسية في المجتمع الإسلامي.

ثالثا- اتساع رقعة الإسلام في شبه الجزيرة العربية

أ- غزوات الرسول (ﷺ)

عندما بدأ الصراع بين الدولة الإسلامية وخصومها، وبخاصة قريش، أذن الله لرسوله وللمسلمين بالجهاد لدفع أذى المشركين عنهم ولنشر الإسلام، قال تعالى:

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِير" الحج 39.

خاض الرسول (ﷺ) أكثر من 28 غزوة في سبيل نشر الإسلام، والتصدي لأعداء الإسلام ابتداءً من غزوةَ ودان (الابواء) ثم كانت غزوة بدر الكبرى (2هـ) التي انتصر فيها المسلمون على قريش انتصارًا ساحقًا حتى فتح مكة في عام (8هـ) التي مهدت الطريق لتوحيد شبه الجزيرة العربية تحت راية الإسلام، وخرجت الدولة الإسلامية من نطاق الدولة (المدينة) إلى نظام الدولة الكبيرة. ثم امتداد الغزوات إلى الدول المجاورة للدولة الإسلامية عندما عزم الرسول (ﷺ) تأمين حدود الدولة الإسلامية الشمالية من هجمات الروم ، ومن أهمها غزوة مؤتة (8هـ) وغزوة تبوك (9هـ) التي كانت آخر غزوات الرسول (ﷺ).

ب- صلح الحديبية 6 هـ

قرر الرسول (ﷺ) الذهاب إلى مكة للعمرة مرتديًا ملابس الإحرام ليعلم الجمع إنما خرج زائرًا للكعبة معظمًا لبيت الله الحرام وليس مقاتلاً، ولكن قريش وقفت في وجهه، وجرى التفاوض بين الطرفين حتى توصلا إلى عقد صلح الحديبية، والذي نص على:

- أن يعود المسلمون هذا العام ولا يدخلوا مكة وفي العام التالي يدخلها الرسول وأصحابه ومعهم السلاح في الغمد ويقيمون فيها ثلاثة أيام بلياليها.
- وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض.
- من أتى محمداً من قريش رده عليهم ومن جاء قريش ممن مع محمد لم يردوه عليه.
- من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. وقد أتاح هذا الصلح الفرصة للمسلمين لنشر الدعوة الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية بإرسال الرسل(السفراء) حاملين كتبا مختومة بخاتم الرسول (ﷺ) إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام.

ج- دعوة ملوك وأمراء الدول المجاورة للإسلام

شرع النبي (ﷺ) عقب عودته من الحديبية في إرسال الكتب إلى ملوك وحكام الدول والأقاليم المجاورة يدعوهم إلى الإسلام فبدأ في الكتابة إلى النجاشي ملك الحبشة الذي كان النبي عليه

السلام يحمل له تقديراً خاصاً كذلك أرسل النبي (ﷺ) كتاباً إلى هرقل ملك الروم فتلقاه بقبول حسن ورد عليه رداً طيباً، ورد المقوقس عظيم القبط في مصر على كتاب النبي (ﷺ) رداً حسناً وأرسل له هدية، أما باذان حاكم اليمن من قبل الفرس فقد أعلن إسلامه وأصبح عامل رسول الله على اليمن، وعلى العكس من ذلك رد كسرى على كتاب رسول الله (ﷺ) بحماقة فما إن قرأ عليه الكتاب حتى استشاط غضباً ،وأخذ الكتاب ومزقه ، وكذلك فعل الغساسنة فقد اعتدوا على رسول النبي(ﷺ) إليهم وقتلوه...

رابعا- **التطور التاريخي لمنطقة شبه الجزيرة العربية خلال الحكم الإسلامي**

1- منطقة شبه الجزيرة العربية في فترة صدر الإسلام

مع بزوغ فجر الإسلام تغير أمر شبه الجزيرة العربية وتبدل، فقد كرمها الله تعالى ببعثة نبي هذه الأمة " سيدنا محمد ﷺ" فتداعت صروح قوى الشر والباطل في مكة بالانهيار أمام الحق، بعد أن هاجر النبي (ﷺ) من مكة إلى يثرب التي تغير اسمها بعد الهجرة لتصبح " المدينة" وبدأ بعد ذلك بمقارعة قوى الباطل وسرعان ما تم فتح مكة ودخول معظم أهلها في الإسلام مما مهد بعد ذلك لعمليات توحيد شبه الجزيرة العربية تحت راية الإسلام.

2- وفاة الرسول (ﷺ)

في يوم الاثنين 12ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة لحق الرسول بالرفيق الأعلى وله من العمر 63 عاما، بعد أن أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة، وتصدى للمشركين واليهود والنصارى وغيرهم , ونشر الإسلام في كافة ربوع الجزيرة العربية كلها.

خامسا- شبه الجزيرة العربية في فترة الخلافة الراشدة

مع بداية الخلافة الراشدة بخلافة أبي بكر الصديق عام 11 هـ، واجهت دولة الإسلام في المدينة ارتداد عدد كبير من القبائل العربية عن الإسلام في أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية. ولخطورة حركة الارتداد تصدى أبوبكر الصديق رضي الله عنه بحزم لحركة المرتدين، فأرسل جيوشاً عديدة لقتال المرتدين. ولقد ظهرت حركة الردة في منطقة البحرين وعُمان، فقاد حركة الردة في منطقة البحرين الحطم بن ضبيعة، واتسعت الحركة في منطقة البحرين مما جعل الخليفة أبا بكر يرسل جيشاً بقيادة العلاء الحضرمي للقضاء عليه.

أما في عُمان فقد قاد حركة الردة لقيط بن مالك الذي أدعى النبوة، ولخطورة هذه الحركة أرسل الخليفة أبو بكر لوائين الأول بقيادة حذيفة بن محصن الغفاني، والثاني بقيادة عرفجة البارقي ثم لحق بهم جيش ثالث بقيادة عكرمة بن أبي جهل، وتم مقاتلة المرتدين حتى تم القضاء عليهم.

وربما كانت أكثر المعارك مع المرتدين ضراوة تلك التي التحم المسلمون فيها مع أتباع مسيلمة الكذاب، (متنبئ وكذاب) بني حنيفة، في موقعة اليمامة، شرقي شبه الجزيرة العربية، والتي انتهت بانتصار مؤزر وساحق للمسلمين بقيادة خالد بن الوليد ومقتل مسيلمة الكذاب.

وكان من نتائج حروب الردة:

1- إعادة توحيد شبه الجزيرة العربية سياسياً تحت قيادة الخلافة الراشدة في المدينة.

2- بداية الفتوحات الكبرى وانطلاق الحملات الإسلامية لنشر الإسلام، والتي نجحت في أنُ تسقط الدولة الفارسية وتطرد الدولة البيزنطية من الشام ومصر بل وتنشر الإسلام في أجزاء واسعة في أواسط أسيا وشمال أفريقيا.

3- ولقد ساهم المسلمون من قطر والبحرين وعُمان في الفتوحات الإسلامية التي حدثت في عهد الخلفاء الراشدين، وخاصة في فتح العراق وفارس، حيث انخرطت القبائل مع جيش المسلمين في البصرة لفتح فارس براً وبحراً، فأمر الخليفة عمر بن الخطاب الوالي على عُمان (عثمان بن أبي العاص) بركوب البحر إلى الساحل الشرقي، فخرج وعبر جلفار (رأس الخيمة الحالية) إلى جزيرة كاوان، ولما علم يزدجر ملك الفرس أمر بالتصدي للمسلمين، ووقعت معركة بين الطرفين وانتصر المسلمون. كما اشترك المثنى بن حارثة الشيباني مع خالد بن الوليد في معركة (ذات السلاسل) عام 12هـ ، بل و قاد المسلمين في معركة البويب وحقق فيها نصراً عظيماً على الفرس.

خامسا- أُسُسْ الحضارة الإسلامية

كانت فترة ظهور الإسلام الفترة التي أعادت صياغة الإنسان في الجزيرة العربية، وأرست لبنات حضارة جديدة أخرجت الناس من الظلمات إلى النور، ووضعت الأساس لبناء الإنسان في الإسلام وكان الوحي هو الذي يعيد صياغة الفرد في معتقداته وأفكاره ويزكيه وينشئ الروابط ويؤسس الصرْح الذي يقوم عليه بناء الأمة. ولا تزال نصوص الوحي وسيرة الرسول [3] . قائد هذه المسيرة . هي التي تحكم حضارة الأمة الإسلامية وتقوّمها.

ومن أبرز الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية في العهد النبوي:

عقيدة التوحيد: لقد أرسى الإسلام مفهومًا للتوحيد عندما خاطب مشركي مكة ذاكرًا لهم أنه لا يكفي ما هم عليه من توحيد الربوبيّة، أي الإقرار بأن الله هو ربُّ كل شيء وخالق كل شيء، بل لا بد أن يقترن هذا الإقرار بالتوجه بالعبادة لله وحده لا شريك له من مخلوقات الله.

وترتَّب على هذا التوحيد آثار إيجابية في بناء المسلمين، لأن الناس عندما تُقبل على الخضوع لله وحده تحّل الحلال وتحّرِم الحرام، وتجاهد في سبيل الله لإرساء قيم الحق والعدل والمساواة والكرامة والعلم النافع .

وحدة الأمَّة: جعل الإسلام رابطة العقيدة الأصل الذي يجتمع ويتفرق عليه الناس، ورفض كل العصبيات: الطبقية والقومية والعنصرية والقبلية، وما شابه ذلك. يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: 13. و يقول أيضًا :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ، واحِدَةٍ، وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء:1.

ويقول الرسول ﷺ: "**أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**".

العدل: لقد عبرت بعض نصوص القرآن والسنة عن العدل، وطبّقه الرسول (ص) والصحابة رضي الله عنهم. ومن الأمثلة القرآنية: قول الله تعالى :﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ النساء: 58 وقوله :﴿ ولا يجرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا ﴾ المائدة: .

العلْم: جاء الإسلام ليعيد ترتيب العقل الإنساني، ثم يُطلقه ليعرف ربَّه من خلال آياته في الكون والنفس بقصد البناء. وكان أول ما نزل من الوحي يختص بالعلم،وهو قوله تعالى:

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ **القلم:1.**

وامتن الله على محمد (ص) بالعلم في مواضع كثيرة من القرآن، وامتن على المسلمين بأن بعث فيهم محمدًا رسولاً كما في قوله تعالى :﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ **آل عمران:164**.وفضَّل الله العلماء على غيرهم في آيات كثيرة.

ومن دلائل اهتمام الرسول بالعلم، أنه جعل فداء بعض أسرى بدر تعليم الواحد منهم عشرة من أبناء الأنصار القراءة والكتابة. ووردت أحاديث كثيرة في الحث على تحصيل العلم النافع، مما كان له الأثر الفعال في بناء حضارة إسلامية رائدة.

الجهاد: كان الجهاد . بجميع ميادينه ومعانيه . أعظم وسيلة وأقوى أساس لتحقيق العمل بالدين بما في هذا نشر مبادئ العدل والمساواة والإخاء والحرية وحماية الدين بالنفس والمال. ولذا رغَّب فيه الإسلام ترغيبًا شديدًا، حين جعل ثواب المجاهدين الشهداء في المرتبة الأولى من مراتب الأعمال الصالحة.

الأخلاق الفاضلة: إن آيات القرآن دستور شامل لتربية الأفراد والجماعات تربية صحيحة في شتى مجالات الحياة، وهذا ما حدا بالمستشرق كارليل إلى أن يقول: "إن الإحساسات الصادقة الشريفة والنيات الطاهرة الكريمة تظهر في فضل القرآن والفضل الذي هو أول وآخر فضل وُجد في كتاب ونتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها."

كانت كل القيم التي أسست لقيام الحضارة الإسلامية في العهد النبوي من آثار تلك التربية الإسلامية الصحيحة للفرد والجماعة .

وتميزت هذه التربية التي بدأت بدار الأرقم بن أبي الأرقم بمكة بأنه **اتربية أخلاقية شمولية تتناول كل شأن من شؤون المسلم، وبأنها قرنت القول بالعمل، وبدأ تتنمية الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية تجاه نصرة دين الله** .وكان لحمتها وسداها الأخلاق الإنسانية الراقية التي يلحظها الإنسان في جميع أحكام الإسلام من فروض وسنن ومندوبات ومستحبات. وتمثل ذلك كله في شمائل الرسول وصحابته. ويدرك الناظر في كتاب " الأنوار في شمائل النبي المختار " للإمام **البغوي**هذه الحقيقة، إذ يكفي دلالة أن تعلم أنه أورد 1257 حديثًا وأثرًا، معظمها في **الأخلاق.**

العمل: لما كان العمل هو الذي يشيّد صرح الحضارة، فقد علّم الإسلام المؤمنين المثابرة على العمل، وكان الرسول يتعوّذ من العجز والكسل، وقرر عليه الصلاة والسلام أن الذي يخرج لطلب الرزق لأبويه الشيخين أو لذريته الضعاف أو ليعفّ نفسه من مذلة السؤال، فهو في سبيل الله.

وارتقى الإسلام بالعمل إلى مرتبة العبادة، إذْ جعل أي عمل يبتغي فيه المؤمن وجه الله عبادة.

وحثّ الإسلام الناس على العمل لعمارة الأرض في شتّى الميادين الاقتصادية مثل: استصلاح الأرض الموات، انطلاقاً من قول الرسول "**من أحيا أرضًا ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق.**

الوعي بالزمن: لا يختلف اثنان مع المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي . يرحمه الله . في تحليله لشروط النهضة الحضارية عمومًا حين قال: إن مشكلة الحضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية؛ مشكلة الإنسان ومشكلة التراب ومشكلة الوقت. فالإسلام يربّي الإنسان المؤمن به على محاسبة نفسه على كل لحظة يعيشها واستغلال كل لحظة للصالح العام والخاص. قال عليه الصلاة والسلام) **:من أحس قيام الساعة وبيده فسيلة فليغرسها(**، ومن أول ما يُسأل عنه المرء يوم القيامة عمره فيم أبلاه.

سادسا– عصور الحضارة الإسلامية

في السنة الحادية عشرة للهجرة، توفي النبي وجاء بعده الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر الصديق، فعمر بن الخطاب، فعثمان بن عفان، فعلي بن أبي طالب، وقد جعلوا اهتمامهم نشر رسالة الإسلام على هدي الرسول واتسعوا في فتوحات البلدان ونشر رسالة الإسلام.

وفي عام 41 هـ، انتقلت الخلافة إلى دمشق مع الخلفاء الأمويين ، الذين ركز معظمهم على إرساء معالم الحضارة الإسلامية. وفي عصرهم، تطور الشعر بأنواع هوالنثر وفنونه (خطابة، كتابة) كما ازدهرت بعض نواحي العلوم والموسيقى والغناء. ومعال أمويين، اتسع العالم الإسلامي صوب مشارق الأرض ومغاربها، وعرف عهدهم تراثًا عربيًا مزدهرًا. وقد بلغت فتوحاتهم إفريقيا الشمالية والمغرب، ثم عبروا إلى أسبانيا) الأندلس)، فأنشأوا فيها حضارة إسلامية راسخة لا تزال آثارها باقية حتى اليوم .

في عام 132 هـ، انتقلت الخلافة من دمشق إلى بغداد مع الخلفاء العباسيين السبعة والثلاثين الذين انقسم عصرهم إلى أربعة حقب زاخرة. ذلك أن الخلافة الإسلامية بلغت معهم أقصى مداها. ففي العصر العباسي، اتخذت الدولة شكلاً متطورًا، وعرف المجتمع الإسلامي عصره الذهبي. وكان من أواصر هذا التقدم الحضاري قيام المجتمع الإسلامي على ثلاث وحدات: وحدة الدين، ووحدة الاقتصاد، ووحدة اللغة. وفي ذلك العصر، قامت المذاهب الفكرية التي تعالج قضايا الشريعة والعقل مستمدة مواقفها من روح القرآن الكريم، ويمكن القول إن العصر العباسي حقق اتساعًا في النواحي الدينية والمدنية كافة.

من أبرز مآثر العصر العباسي تأسيس **بيت الحكمة** على عهد **المأمون** .وقد كان تجمعًا لكبار المفكرين والمترجمين والعلماء، وفيه بدأت عمليات الترجمة من اليونانية والفارسية والهندية إلى

العربية. حيث تم ترجمة وتأليف الكثير من كتب الفكر والعلوم، مما أهل المسلمين لاستقبال الفكر الإنساني في أبلغ مصادره، وإلى جانب أنشطة الشعر والنثر، برز أدب السيرة والرواية والتصنيف الأدبي وفقه اللغة والمعاجم والنحو والعلوم الدينية والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والطب والفلكو الرياضيات والعلوم الطبيعية والغناء والموسيقى. ويمكن القول إن العصر العباسي رفد الحضارة الإسلامية بالعلوم وشتى مجالات المعرفة. وهو ما ظهر أثره لاحقًا على الفكر العالمي والإنتاج الغربي أصيب العصر العباسي بنكبة حضارية كبرى حين أقدم الفاتح المغولي هولاكو على إحراق مكتبة بغداد، فدخلت الحضارة العربية عصرًا أطلق عليه بعض الدارسين **عصر الانحطاط.**

سابعا- إشعاع الحضارة الإسلامية: بين القرنين السابع والثالث عشر الميلاديين، أقام المسلمون حضارة عالمية جعلتهم في طليعة الشعوب الحضارية. وقد جمعت حضارتهم أسبانيا وإفريقيا الشمالية في الغرب إلى شعوب العالم القديم من مصر إلى سوريا إلى بلاد مابين النهرين في الشرق. وكان واضحًا أن سرعة انتشار الإسلام هي التي عجلت فيربط أجزاء الخلافة الإسلامية. هكذا كان الإسلام هو المحرِّك وكانت اللغة العربية هي الصلة.

ثامنا- إنجازات الحضارة العربية الإسلامية:حققت الحضارة الإسلامية العربية في فترة ازدهارها الكثير من الانجازات في ميادين المعرفة المختلفة، خصوصًا في مجالات الرياضيات والفلك والطب والعمارة والجغرافيا والفيزياء والهندسة.

1- في الرياضيات: اخترع الخوارزمي، أحد منجمي المأمون، علم الجبر وانتشر العلم بفضله في العالم. وأخذت أوروبا في الرياضيات عن العرب مفهوم الصفر ونظام التقويم والنظام العشري (الذي دفع بعلم الرياضيات خطوات إلى الأمام) والأرقام العربية التي هي اليوم أوسع الأرقام انتشارًا في العالم.

2- في علم الفلك: شهد علم الفلك ظهور الإسطرلاب العربي الذي أوجده العلماء المسلمون لتحديد أوقات الفجر والمغرب والصوم، ثم طوّروه فاكتشفوا خطوط الطول والعرض وسرعة الصوت والضوء، حتى أصبح ذلك مرجعًا لعلماء الغرب. وتمكن **البيروني** من اكتشاف دوران الأرض حول الشمس، وهو ما أثبته جاليليو بعد ستة قرون. وترجم الفلكيون العرب الزرقالي والفرغاني والفزاري مؤلفات بطليموس في الفلك وأضافوا إليها ما بات مرجعًا بعدهم للفلكيين الغربيين.

3- الطب: تفوق العرب في فنون الشفاء التي كانت معروفة في مصر القديمة وبلاد مابين النهرين. وكانت مؤلفات الرازي المتقدمة في الطب مرجعًا للأوربيين حتى وقت متأخر من القرن السادس عشر الميلادي، كما ظل الأوروبيون حتى القرن السابع عشر يتعلمون من نظريات ابن سينا الطبية. وكان ابن سينا أول من أشار إلى الطب العقلي، وهو ما أصبح فيما بعد أساسًا لعلم النفس. واشتهر عند العرب أيضًا أمر التداوي بالأعشاب والمواد الطبيعية (من ثوم ومُر وعصير جلاب وماء الزهر، إلخ) فكانت تزخر بها صيدلياتهم ومنها انتشرت إلى الشرق الأوسط فأوروبا.

4- العمارة: عرف المسلمون طرازًا معماريًا تجسد في بناء المساجد، مما عده الغربيون نماذج هندسية في فن البناء. و يعترف علماء الغرب أن الجامع الأموي في دمشق وجامع ابن طولون في القاهرة كانا أساسًا لبناء عدة كاتدرائيات ضخمة في أوروبا. وقد تأثر فن البناء الغربي كثيرًا ببناء المآذن والأقواس والقناطر والأهِلة والأطراف والمثلثات والمنحنيات المعكوسة وهندسة القباب والمكعبات، مما أخذه الأوروبيون عن مساجد مكة والقدس والقاهرة ودمشق. وكان لفن الزخرفة والخط والنقوش تأثير كبير على الأوروبيين، خاصة ما تركه العرب في الأندلس (كقصر الحمراء والجامع الكبير في قرطبة.

5- الملاحة والجغرافيا: كان للعرب تأثير كبير على الغرب. وقد أخذ العرب من الكنعانيين، أسياد البحر، ومن قدامى المصريين، ما أعانهم على تطوير البوصلة. وبرع الإدريسي في القرن الثاني عشر الميلادي بابتكاراته ومكتشفاته، حيث وضع أول أطلس في العالم، حاويًا سبعين خريطة، بعضها لمناطق لم تكن معروفة من قبل. وكانت رحلات ابن بطوطة وتدويناته خير معين للأوروبيين على معرفة مناطق جغرافية لم يكونوا يعرفونها .وفي القرن السادس عشر تمكن حسن الوزان من كشف مجاهل إفريقيا ويدين له الغرب بذلك،ويُعْرَف عندهم باسم ِليون الإفريقي. وفي رحلات فاسكو دي جاما الشهيرة كان الملاح العربي أحمد بن ماجد هو البحار الرئيسي في القيادة. ويقال إن كريستوفر كولمبوس كان يتكل على بحار عربي في توجيه حملته البحرية التي أدت إلى اكتشاف أمريكا.

6- في فن الجنائن والحدائق: واشتهر العرب كذلك بفن الجنائن والحدائق. وقد بات كتاب **الفلاحة الأندلسية** لابن العوام مرجعًا أوروبيًا في علم النبات لأنه وصف فيه نحو خمسمائة نبتة وبيَّن طريقة زراعتها والاعتناء بها وبالأرض والتربة. وكذلك ظلال أوروبيون لوقت طويل يستفيدون

من العرب خاصة الأندلسيين في فنون حفظ الخضراوات والفواكه والأزهار ومواد التجميل ومساحيق الوجه والعطور والتطيب والجواهر والحُلي.

7- في علوم الفيزياء: أفاد الأوروبيون، من ناحية أخرى، في علوم الفيزياء . وتحديدًا حقل البصر والبصريات . من مؤلفات الكندي وابن الهيثم.

8- في الحرفيات الدقيقة والمنمنمات: برع العرب في الحرفيات الدقيقة والمنمنمات، وفي الزجاجيات والخزف والحفر والبلَّور ومزج الألوان وصباغة الحرير والأقمشة والجلود والدباغة وصقل الحديد. ومازالت بعض هذه الخامات والحرف تحمل في الغرب اسمها الأصلي) دمقس، حرير دمشقي، دباغة مغربية، أزرق محمدي). ويردها بعض الغربيين صراحة لأصلها العربي.

9- في الموسيقى وآلاتها: طور العرب في الموسيقى وآلاتها، فعرف الغرب الكثير منها .وما زالت حتى اليوم آلات عديدة (القيثارة، الطبلة، الزار، الناي، المزمار، مزمار القربة إلخ...) معروفة على أنها تطوير غربي للآلات الموسيقية العربية. كما أخذا لأوروبيون الكثير من الألحان العربية التي كانت شائعة في غناء القصائد العربية في قصور الملوك.

10- في الفلسفة: نقل المفكرون العرب أهم مصادر الفلسفة المشرقية واليونانية القديمة ترجمة وتطويرًا، فاشتهر الكندي بتطوير فلسفة أفلاطون وأرسطو، والفارابي بفكرة المدينة الفاضلة، وابن سينا بفلسفته العقلية، وابن خلدون بنظرياته الاجتماعية التي لا تزال حتى اليوم في أصل مؤلفات الكثيرين من الفلاسفة الاجتماعيين الغربيين. وبرز ابن رشد بفلسفته التي ارتكز عليها بعده فلاسفة غربيون كبار.

وقد أخذ الغربيون كذلك جمالية الخط العربي متأثرين باللغة العربية نفسها، لذلك دخلت كلمات وعبارات عربية كثيرة إلى عدة لغات أوروبية، ولا تزال حتى اليوم في نسيج هذه اللغات (الإنجليزية، الفرنسية، الأسبانية، الإيطالية، الألمانية). وقد أثرت مؤلفات عربية مثل **حي بن يقظان** لابن طفيل،**وألف ليلة وليلة**،**ومقدمة ابن خلدون**، إلخ... في الفكر الغربي.

هكذا نجد أن المسلمين ساهموا في إعلاء الحضارة العالمية وتقدمها وتطورها، بفضل أعلامهم في العلوم والفنون والتربية والفلسفة والشعر والموسيقى. وفي مكتبات العالم اليوم آلاف الوثائق التي تشهد بالفضل للمنجزات الحضارية الإسلامية في حقول الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة والجغرافيا والعمارة والموسيقى، وما كان لهم من تأثير في تصنيع النسيج والورق

والدهان والصابون والحبر والشمع والسكر والنشاء والزيوت النباتية والعطور والبارود، وكذلك في اكتشاف أو تطوير الميزان ورقاص الساعة والساعة المائية والطاحونة المائية والهوائية والآلات الفلكية وأجهزة سكب المعادن وصك النقود والمعدات الحربية والأدوات الطبية والجراحية، وكذلك بناء الجسور والقنوات المكشوفة وجر المياه والتدفئة والتبريد وأنظمة الري والحمامات العامة وأبراج المراقبة والتحصينات العسكرية، وسواها من المنشآت والإنشاءات والابتكارات والاكتشافات التي يعترف الغرب اليوم بفضلها للعرب وحضارتهم.